مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

ملفُّ الشعائرِ الحُسينية

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّون

ملفُّ الشعائرِ الحُسينية

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في خمس حلقات وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 2010/12/31

يا زهـــراء

بسم الله الرحمن الرحيم

يا فاطِمة قُومي إلى الطفوفِ هَذا حُسينٌ طُعمَةُ السُيوفِ

الأرضُ تَبكي والسما واويلاه هذا حُسينٌ في الدما واويلاه

الحلقة الخامسة

الشعائرُ الحُسينيةُ في أفقِ الواقع العملي

بسم الله الرحمن الرحيم

يا فاطمة قُومي إلى الطفوف هَذا حُسينٌ طُعمَةُ السُيوف

الأرضُ تَبكي والسما واويلاه هذا حُسينٌ في الدما واويلاه

سلامٌ عليكم أيُّها الحسينيون بين أيديكم ملفُّ الشعائر الحسينية الحلقة الخامسة وهي الأخيرة.

كان من المفترض أن تكون هذه الحلقة قبل هذا الوقت ولكن لعارض صحي ألـمَّ بي تأخرت بعض الشيء، قبل أن أشرعَ بموضوع حلقة هذا اليوم وهي الحلقة الأخيرة من ملفّ الشعائر الحسينية أشيرُ إلى نقطتين:

النقطة الأولى: بشكل سريع أُذَكّرُ بالعناوين التي عنونت بها الحلقات الماضية:

الحلقة الأولى من حلقات هذا الملف عنونتها بـ **الشعائر الحسينية في الأفق الإنساني.**

والحلقة الثانية عنونتها بـ **الشعائر الحسينية في الأفق الفقهي والفتوائي.**

والحلقة الثالثة عنونتها بـ **الشعائر الحسينية في أفق ثقافة وفكر أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين،** وأعني بذلك أحاديثهم الشريفة.

الحلقة الرابعةُ عنونتها بـ **الشعائر الحسينية في أفق مضامين شعار الحسينيين يالثارات الحسين.**

والحلقة الخامسة التي بين أيدينا عنوانها: **الشعائر الحسينية في أفق الواقع العملي.**

هذه النقطة الأولى التي أردتُ الإشارة إليها قبل الشروع في موضوع الحلقة.

النقطةُ الثانية: أردتُ أن أوجزَ الموقف الشرعي والذي تحدّثتُ عنهُ فيما مرَّ من الحلقات الماضية من حلقات هذا البرنامج، الشعائر الحسينية يُرادُ منها:

الزياراتُ من قريب ومن بعيد، المطلقة والمخصوصة، مَشياً على الأقدام أو باستعمال أيَّة وسيلة من وسائل النقل، في حال الخوف وفي حال عدم الخوف، الزياراتُ على أيّ حال في كل زمان في كل مكان، أولاً.

وثانياً: المجالسُ الحسينية التي يُحيا فيها ذكر الحسين وآل الحسين.

وثالثاً: البكاءُ على سيد الشهداء بل والتباكي على سيد الشهداء.

وكلُّ ما يقعُ تحت عنوان إحياء أمر الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ذكرُ الحسين عند شرب الماء ولعنُ قاتله ولعنُ الذينَ منعوا الماء عنه وعن عياله، كلُّ ما يقعُ في إحياء هذه الأمور من إنفاق ومن إطعام ومن سقي إلى غير ذلك من الأمور المختلفة كلُّ هذا واضحٌ بيّنٌ في كلمات أهل البيت ورواياتهم ولذلك لا يحتاجُ هذا الأمر إلى وقوف كي نتبين الموقف الشرعي منه، وإنما يقعُ الكلامُ في أحد مصاديق أو في مجموعة من مصاديق الشعائر الحسينية وهي الممارسات الجماهيرية، المواكب الحسينية، مواكب اللطم، الزنجيل، التطبير، وما يقع في سلسلة هذه الممارسات، هذه الممارسات بكل أشكالها: لطماً، زنجيلاً، تطبيراً، وغير ذلك.

إذا أردنا أن ننظر إليها في أصل التشريع فإننا لا نملكُ دليلاً يمنعُ منها أو يذمها فضلاً عن أن يُحرّمها وفي حال عدم ورود المنع فإن الموقف الشرعي هو الإباحة، هو الحلية لعدم ورود مانع شرعي في ذلك، ولا يستطيع أحد أن يدّعيَ بورود منع يمنعُ من هذه الممارسات، هذا في الأفق الأول.

أما في الأفق الثاني، إذا ذهبنا للحديث عن نية الذين يُمارسون هذه الممارسات وهي مظاهرٌ لإظهار الحزن والجزع والأسف والهلع على سيد الشهداء وما جرى عليه صلوات الله وسلامه عليه فإنها في هذا الأفق تقع في دائرة الأعمال المندوبة والمستحبّة، إذ أنَّ من الثابت قطعاً في نصوص الأئمة المعصومين استحبابُ الجزع على الحسين وبنحو مؤكّد وبنحو مُشدّد، والجزعُ لا يُتصوّرُ في صورة واحدة وما رسمت لنا الرواياتُ عن أهل البيت كيف يكونُ الجزع لأن القضيةَ مردُّها إلى العُرف ومردُّها إلى الشخص، ويختلفُ التعبيرُ عن الجزع من مجتمع إلى مجتمع ومن شخص إلى شخص، العرفُ الشيعي، العرفُ الحسيني، عرفُ مُحبي أهل البيت يقطعُ بقطع اليقين أن هذه الممارسات هي ممارساتٌ لإظهار الحزن والجزع، وإذا شذّ أحد فلا قيمة لشذوذ من يشذ في قول أو رأي، الأُمَّة الشيعية بكُلّها في عُرفها الحسيني ترى أن هذه الممارسات هي إظهارٌ للحزن والجزع على الحسين، وبما أن الجزع مستحبٌّ مؤكد في نصوص أهل البيت فإن هذه الممارسات هي مصاديقُ لهذا الجزع فهي مستحبَّةٌ مندوبةٌ مؤكدة، هذا في الأفق الثاني.

في الأفق الثالث، وفي الأفق الثاني لا يستطيعُ أحدٌ أن يُنكر هذين الحقيقتين: الحقيقة الأولى استحباب الجزع وبنحو مؤكد في كلمات أهل البيت، من أراد أن يُنكر هذه الحقيقة فإما أن يكون ليس شيعياً وإما أن يكون جاهلاً بما قالهُ أهل البيت، لأن النصوص عن المعصومين واضحةٌ، صريحةٌ، صحيحةٌ، بيّنةٌ، تؤكّدُ على الجزع، تؤكدُ على الحزن على سيد الشهداء، فهذه الحقيقةُ لا يستطيعُ متدينٌ حسينيٌ شيعيٌ أن يُنكر هذا الأمر، ولا يستطيع أحدٌ أن يُنكر هذا العُرف أيضاً، العرف الشيعي قائم على أن هذه الممارسات إظهارٌ

للجزع على الحسين، ولذلك فهي لا تُمارَسُ في أي مناسبة أخرى، ليست هي من ممارسات المواليد، ولا من ممارسات المناسبات الوطنية أو السياسية، هذه ممارساتٌ حسينية، هذه مشاعر وشعائر وطقوس ومراسيم يُجمعُ شيعةُ أهل البيت بقضهم وقضيضهم في كل بقاع الأرض على أن هذه الممارسات إظهارٌ للجزع وللأسف وللحزن وللتذكير بأمر سيد الشهداء في كل عام من الأعوام وفي كل صقع من الأصقاع، إذا شذّ شاذٌ فهل يؤخذُ بقول الشاذ في مواجهة هذا العُرف الواسع المتسع الذي يقطعُ بقطع اليقين أنَّ هذه الممارسات هي لإظهار الجزع على الحسين، فهناك حقيقتان:

الحقيقة الأولى استحباب الجزع ولا يمكنُ لأحد أن يُنكرها.

والحقيقةُ الثانية هي قاطعية العرف الشيعي الحسيني بأن هذه الممارسات هي إظهارٌ للجزع على الحسين.

فهل يستطيعُ مُنصفٌ في الوسط الشيعي أن يُنكر هاتين الحقيقتين؟! اللّهُمّ إلا أن يكون مُعانداً أو أرادَ أن يكون خارجَ الدائرة الشيعية فذلك أمرٌ راجعٌ إليه، نحن نتحدثُ في الوسط الحسيني في الدائرة الشيعية الحسينية، لا يمكن لأحد وهو يدّعي أنَّه ثابتٌ في الدائرة الشيعية الحسينية أن يُنكر هاتين الحقيقتين: الحقيقة الأولى استحباب الجزع استحباب مؤكد في كلمات المعصومين، والحقيقة الثانية إجماعُ العرف الشيعي الحسينية على أن هذه الممارسات إظهارٌ للجزع وإظهارٌ للحزن والأسف والهلع على الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

في الأفق الثالث قد ينتقل الكلام إلى علاقة هذه الممارسات بما حولها من المجتمعات البشرية أو ما تتركهُ من تأثيرات إيجاباً أو سلباً، في هذا الأفق يمكن أن تختلف الآراء، ولذا ذهبَ من العلماء أمثال الشيخ عبد الله المامقاني إلى وجوبها وجوباً كفائياً، إلى وجوب الشعائر الحسينية لظرف زماني معيّن، لتصور كان يحملهُ بأن هناك من يريد الإساءةَ أو يريد القضاء على هذه المراسم وبالتالي يتسلّلُ للقضاء على عقيدة أهل البيت، لأن هذه الشعائر الحسينية تُمثّل الخط الدفاعي الأول، ومن هنا يأتي التأكيدُ عليها من قبل علمائنا وفقهائنا ومراجعنا، هذه الشعائر الحسينية تُمثّل الخط الدفاعي الأول، ولو سُمح للذي يريد أن يضرب هذه الشعائر فإنه لا يكتفي بذلك، والتجارب شاهدة على ذلك، التجارب التأريخية القريبة والبعيدة، أولُ شيء يبدءون به التطبير ثم شيئاً فشيئاً حتى يصل الأمر إلى جوهر العقيدة الشيعية، الشعائر الحسينية خطوطٌ دفاعية وسياجٌ يحمي التشيع أولاً، ويحمي الشيعة ثانياً.

وهناك من العلماء من يرى خصوصاً في وقتنا الحاضر أن هذه الممارسات قد تُسيءُ إلى المذهب، وهذا رأيٌ يمكن أن يُناقش ولكنه يقعُ في الأفق الثالث، الأفق الثالث الذي يمكن أن يقع فيه الاختلاف في هذه القضية، فهناك الأفق الأول في أصل القضية وهو الإباحة، والأفقُ الثاني وهو حينما تكون نوايا الممارسين بهذه المشاعر ولهذه الشعائر، حينما تكون النية لإظهار الجزع والحزن والأسف على الحسين صلوات الله

وسلامه عليه فإنها ستقعُ في دائرة المندوبات والمستحبات المؤكدة، في الأفق الثالث يمكن أن يقع الاختلاف، هذه الخلاصةُ الفقهيةُ الحديثيةُ التي مرَّ الحديث عنها في الحلقة الثانية وفي الحلقة الثالثة من حلقات هذا الملف بهذا أُتمُ الكلام في النقطتين اللتين أردت الإشارة إليهما قبل أن أتناول موضوع الحلقة لهذا اليوم.

عنوانُ هذه الحلقة وهي الحلقة الخامسةُ والأخيرةُ في نفس الوقت من حلقات ملف الشعائر الحسينية: **الشعائر الحسينيةُ في أفق الواقع العملي**، المركزُ الذي ندورُ حولهُ، وبعبارة دقيقة نقطة البداية والنهاية بالنسبة إلينا، نحنُ شيعة أهل البيت، نحنُ الذينَ نَسمُ أنفسنا بأننا علويون، فاطميون، حسنيون، حُسينيون، مهدويون، نحنُ أشياعُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نقطة البداية والنهاية بالنسبة إلينا هي: إمامُ زماننا صلوات الله وسلامه عليه، الحُجّة بن الحسن العسكري.

هذه عقيدتنا، يختلف الآخرون هم أحرارٌ في ذلك، لا يقبلُ الآخرون منا ما نعتقد به هم أحرارٌ فيما يعتقدون، ونحنُ أحرارٌ فيما نعتقد، عقيدتنا في إمام زماننا وفي إمام كل زمان، عقيدتنا في الحجّة بن الحسن أن إسلامنا لا يُقبَلُ إلا بإمضائه، وأن إيماننا لا يكون حقيقياً إلا بقبوله صلوات الله وسلامه عليه، وأنَّ التوفيقَ الذي هو خيرُ رفيق في طريق الإنسان في طريقه الذي يقودهُ إلى العاقبة الحُسنى، وإن التوفيقَ لا يأتي إلا من بابه وبرضاه وتحت نظره ورعايته، وأن أعمالنا لا تُقبَلُ إلا بقبوله لهذه الأعمال، وأن النقصَ في أعمالنا والنقص في عقيدتنا لا يكتملُ إلا بإكمال منه صلوات الله وسلامه عليه، وأنّ الموتَ الذي يقودُ إلى الرضوان لا يكونُ إلا بحضوره وببشارته لنا، وأن البرزخَ لن ننجوَ منه إلا بأمر منه صلوات الله وسلامه عليه، وأننا لن ننجو من مواقف يوم القيامة وأهوالها ولن نستطيع العبورَ على الصراط الممدود على جهنم ولن تُفتح لنا أبواب الجنان إلا بشفاعته، وكل شيعة في أعناقهم عهدٌ، وهذا العهد عهدٌ موصول بإمام زمانهم صلوات الله وسلامه عليه، كلُّ ذلك وغيرهُ مدارهُ الحجّة بن الحسن، فهو إمامُ زماننا، والعهود في أعناقنا له صلوات الله وسلامه عليه.

ولذلك قلتُ قبل قليل بأن نقطة البداية والنهاية هي إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، مدار أمورنا حولهُ وبيده، وما عجبٌ في ذلك، إذا كان القرآن يدور حولهُ حيثما دار، أما قالها خاتمُ الأنبياء: أنَّ الحقَّ يدورُ معَ عليّ حيثما دار، وأنَّ القُرآنَ يدورُ معَ عليّ حيثما دار، وهل إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه إلا نفسُ عليّ، ومُهجة عليّ، وحقيقةُ عليّ، عقيدتنا هكذا في أئمتنا: أننا نعتقدُ بأن ما لأولهم هو لآخرهم، وبأن ما لآخرهم هو لأولهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، واحداً واحداً، نجماً نجماً، وكوكباً كوكباً، فإذا كانَ القُرآنُ يدورُ معه حيثما دار فكيف لا تدور أرواحنا وقلوبنا، وكيف لا تُناطُ عقائدنا وحقائقنا وديننا وأعمالنا، كيفَ لا تدورُ معهُ حيثما دار، هو نقطةُ البداية والنهاية، إلى أيّ باب أريدُ أن أصل؟!

أريدُ أن أصل إلى هذه الحقيقة بأن مدار ديننا هو إمام زماننا، وتكليفنا الأولُ والأخير إذا كُنّا شيعةً كما ندّعي، إذا كُنّا مُحَمَّديينَ، علوييَن، فاطمييَن، حَسنيين، حُسينيين، مهدويين، تكليفنا الأولُ والأخير هو التمهيدُ لظهوره صلوات الله وسلامه عليه، وأول خطوة في التمهيد لظهوره هو إحياءُ أمره، هو إعلاءُ ذكره الشريف، البوابة التي ندخل منها كي نصلَ إلى إحياء أمره، البوابة إحياءُ أمر الحسين، هم هكذا أخبرونا، أئمتنا هم أرشدونا، التمهيدُ لإمام زماننا خطوتهُ الأولى إحياءُ أمره، وإحياءُ أمره لا نقترحهُ نحنُ هم يرشدونا إلى ذلك، إحياءُ أمر الحسين هو إحياءُ أمره صلوات الله وسلامه عليه، وما الشعائر الحسينية إلا الساحةُ والفناءُ الذي يُحيا فيه أمرُ الحسين صلوات الله وسلامه عليه، الشعائر الحسينية هي البوابة والساحةُ والفناءُ الذي من خلاله نُحيي أمرَ الحسين والذي هو إحياءٌ لأمر إمام زماننا، وهنا تتحققُ معاني الوفاء، ومعاني الأداء للتكليف الشرعي.

القضية أبعد من الأمور المستحبّة ومن الأمور المندوبة ومن العادات التي يعتادها الإنسان ولا يستطيع أن يتركها، القضية أعمق من كل ذلك، الشعائر الحسينية هي البوابةُ، الساحة والفناء الذي نستطيعُ من خلالها أن نُحيّ أمر إمام زماننا، وإحياءُ أمر إمام زماننا تكليفٌ عقائديٌ قبل أن يكون تكليفاً فقهياً، التكليف العقائدي أعلى رتبةً بكثير من التكليف الفقهي، التكاليف الفقهية والتكاليف الشرعية هي أقل رتبةً من التكاليف العقائدية، وهذا واضح فالعقائد أصول والفقه فروع، وأحكام الفقه فروع، والأصول أعلى رتبةً من الفروع، إحياءُ أمر إمام زماننا تكليفٌ عقائديٌ قبل أن يكون تكليفاً فقهياً، هو تكليفٌ فقهيٌ أيضاً ولكنهُ في رتبته الأولى تكليفٌ عقائدي، شعائر الحسين هي الساحةُ والفناءُ الذي يقودنا لأداء هذه الوظيفة العقائدية، ولأداء هذا التكليف العقائدي، إحياءُ أمر إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، والأمرُ واضحٌ جداً، التمهيدُ لإمام زماننا هو إحياءُ أمر إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، كيفَ يكون؟

يكونُ من سنخ المشروع ومن سنخ الأهداف التي يريدُ إمامُ زماننا أن يُحقّقَها في المجتمع الإنساني، إمام زماننا مشروعهُ وأهدافهُ وبرنامجهُ هو في المجتمع الإنساني هو للناس، وبين الناس، والشعائر الحسينيةُ هي الفناء الأرحب الذي يؤسسُ للقواعد الجماهيرية الواسعة لإحياء أمر إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، الشعائر الحسينية، المواكب الحسينية هذه الزيارة الأربعينية التي نشهدها في هذه السنة وفي كل سنة هي أوضحُ مصاديق القواعد الجماهيرية الواسعة، وهي المادةُ والعجينةُ التي تتشكل منها قواعدُ إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، لبديهة واضحة إمامُ زماننا يرفعُ هذا الشعار:

يا لثارات الحُسين، هذا الشعار الذي يُمثّلُ روح البرنامج المهدوي، هذا الشعار الذي يمثلُ خُلاصة البرنامج المهدوي، أينَ يجدُ إمام زماننا الأُمَّةَ والقاعدة الجماهيرية التي ستتفاعل وتأثَّرُ وتندفعُ بكل أحاسيسها ووجدانها مع هذا الشعار؟! قطعاً لن يجد ساحةً ولا جماعةً أفضلَ من ساحة الشعائر الحسينية، ومن

ساحة زوار الحسين، وخَدَمَة الحسين، ومواكب الحسين، حيثُ الإحساسُ الحسينيُ في أعلى قمته، وحيثُ الوجدان الحسينيُ يفور فوراناً، وحيثُ المشاعر الحسينية تكادُ أن تكون بركاناً ثائراً فائراً، هذا الشعار موطنهُ الأصلي ومحلهُ الأصلي أولئك الذين يعتنقونَ ويعتقدون ويُمارسونَ ويبذلونَ كلَّ ما عندهم في سبيل استمرار هذه المسيرة، المسيرة الحسينية التي تتجلى في الشعائر الحسينية، والقضيةُ لا تحتاجُ إلى تفكير كثير، إمامُ زماننا صلوات الله وسلامه عليه يحملُ مشروعاً ذا مواصفات استثنائية، فإنه يحملُ مشروعاً به يملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، هل هناكَ من مشروع عبرَ تأريخ الإنسانية يحملُ هذا المخطط، ويحملُ هذا الهدف، ويحملُ هذا البرنامج؟

يملأُ الأرض قسطاً وعدلاً، والإمام صلوات الله وسلامه عليه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ليس في الجانب القانوني والتشريعي فقط، حتى في الجانب التكويني، ستكون هناك عدالةٌ في توزيع المياه، الصحارى والأراضي التي ليس فيها من مياه تكويناً سيُفَجّرُ فيها الإمام المياه، ستكون العدالة بكل معانيها في بُعدها التشريعي وفي بُعدها التكويني، في بُعدها المادي وفي بُعدها المعنوي، وليسَ الحديثُ هنا عن مشروع إمام زماننا حتى أدخلَ في تفاصيل هذه المطالب، لكن خلاصة القول:

إمامُ زماننا يحملُ مشروعاً استثنائياً، وأهدافاً استثنائية، لأنهُ يريدُ أن يبني عالماً استثنائياً عالمٌ يسودهُ العدل، يسودهُ الأمن، تسودهُ الرحمةُ والرأفة، ويسودهُ السلام، عالمٌ تطمئنُ فيه القلوب ﴿**يعبدونني لا يُشركونَ بي شيئاً**﴾ متى تستطيع هذه القلوب أن تعبد الله ولا تُشركُ به شيئاً وهاجسها الخوف، الخوفُ من السلطان الظالم، الخوفُ من الذي يُخالفها في الرأي أن يتعرض لها بالسوء، الخوفُ من الفقر والفاقة، الخوفُ من المستقبل الذي لا يعلمُ الإنسان ماذا يحمل في طيات أيامه ولياليه، الخوفُ من الأمراض الفتاكة والأوبئة، الخوفُ، ما لم يكن هناك برنامجٌ يدفعُ هذا الخوف عن الناس تشريعاً وتكويناً لن تتحقق العبادةُ الحقيقيةُ في المجتمع البشري بهذا الوصف ﴿**يعبدونني لا يُشركونَ بي شيئاً**﴾ برنامجٌ استثنائيٌ بكل المقاييس، هذا هو البرنامج المهدوي.

ومن الطبيعي إذا كان البرنامجُ استثنائياً فهو يحتاجُ إلى قاعدة جماهيرية استثنائية، يحتاجُ إلى قاعدة جماهيرية يكون نسيجها نسيجاً استثنائياً، فكيفَ يتكونُ هذا النسيج؟ نحنُ بحاجة إلى مادة استثنائية، هذه المادة الاستثنائية هي التي تصنعُ هذا النسيج، المادة الاستثنائية هو هذا: العشقُ الحسيني، هي هذه العلاقة الحسينية، سمي ما شئت، المودّةُ الحسينية، الحُبُّ الحسيني، العشقُ الحسيني، الفطرةُ الحسينية، الهَيامُ الحسيني، عَبّر ما شئت من التعابير فإنّكَ لن تُدركَ الحقيقة، هناك شيءٌ بينَ الحُسينيين وبينَ حُسينهم،

هناك شيءٌ لا تُحيطُ الألفاظُ به، هناك سرٌ عجيبٌ غريبٌ، هذا السرُّ العجيب الغريب هو هذا الذي ينسجُ هذا النسيج، هو هذا الذي يكونُ سبباً في صناعة هذا النسيج الاستثنائي، برنامجٌ استثنائيٌ بهذه الأبعاد الواسعة بحاجة إلى قلوب، هذه القلوب يملأها الإيمان، وكيف تمتلئ القلوب بالإيمان؟

الإيمانُ ما هو؟ الإيمانُ: خلطةٌ عجيبةٌ، عجينةٌ لا يمكن أن تُوصف لكنني يمكن أن أُقَرّبَ المعنى: الله سبحانه وتعالى خلقَ في الإنسان قُدرةً هي سرُّ هذا الإنسان، هذه القدرةُ هي قوة الخيال التي يمتلكها الإنسان، قدرة الخيال، وقوة الخيال التي يمتلكها الإنسان هي الأعجوبة في خلق هذا الإنسان، ليس الكلام هنا في الحديث عن عجائب هذا الإنسان، وإنما أردتُ أن أقربَ المعنى في عجينة الإيمان وفي خلطة الإيمان، وهناكَ عوامل الإدراك البشري، عقلُ الإنسان لا يمكن أن نتصور أن العقلَ يعملُ من دون الاستفادة من مادة الخيال، وكذلكَ الوجدانُ لا يمكنُ أن يعمل من دون الاستعانة بمادة الخيال، العقلُ، الوجدانُ، الحواسُ، الفطرةُ، كلُّ هذه العوامل، كلُّ هذه القدرات تستعينُ بمادة الخيال، الإيمانُ هو عجينةٌ وخلطةٌ فيها شيءٌ من عقل، وفيها شيءٌ من وجدان، وفيها شيءٌ من فطرة، وفيها شيءٌ من إحساس، وفيها شيءٌ من خيال، العاملُ الذي يربطُ وينسجُ كلَّ هذه المعاني هو الوجدان، الوجدانُ هو الرابطُ، وهو الفاعلُ الذي إذا ما اجتمعت هذه العوامل تولّدت عندنا خلطةٌ عجيبة أسمها الإيمان والتي إذا ما نَقَت ونَقَت فإنها ستكون البصيرة.

البصيرة: هي حالةُ النقاء، وحالةُ الصفاء، وحالةُ السمو في هذه الخلطة المعنوية العجيبة، الإيمانُ في حقيقته هو العقلُ والفطرةُ والإحساسُ، ما تصلُ إليه الحواس وتُدركهُ الحواس، والخيالُ في بُعده الإيجابي لا في بُعده السلبي، الخيال يمكنُ للإنسان أن يستعملهُ سلباً ويمكنُ للإنسان أن يستعملهُ إيجاباً، الوهمُ هو الذي يمكن أن يستعمل بنحو سلبي دائماً، أما الخيالُ يمكن أن يكون موجباً ويمكن أن يكون سالباً، الإيمانُ هو الخلطة العجيبةُ من كل هذه المعاني والوجدانُ هو العامل والفاعلُ في وجود هذا النسيج، الشعائر الحسينيةُ هي أفضلُ مصدر للشحن العاطفي وللشحن الوجداني، وهي المطبخُ الحقيقي لأن تتحقق معاني الإيمان في جوها ومعاني الارتباط بأهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أنا لا أذهبُ بعيداً من الواقع العملي وعنوانُ هذه الحلقة: الشعائرُ الحسينيةُ في أفق الواقع العملي، هؤلاء الذين يخرجون مشياً على أقدامهم من أقصى مناطق الجنوب في العراق وحتى من البلدان المجاورة وهم لا يحملون شيئاً معهم، في طريق مسافتهُ وبُعدهُ مئات من الكيلومترات، هؤلاء الذين يخرجون وملؤهم النشاط، وملؤهم الزهو، وملؤهم الشوق، وملؤهم الحُبّ لحُسين وآل حُسين ويخرجون من البصرة إلى الناصرية إلى السماوة إلى كربلاء، ومن مدينة إلى مدينة، وأهلُ هذه المدن التي تقعُ في طريق هؤلاء الزوار وأهلُ القُرى هم ينتظرون ضيوفاً لا يعرفونهم بالأسماء، هل هناك ضيوفٌ في العالم بهذا الوصف؟!

لا يعرفون أسمائهم، لا يعرفون صورهم، ولا يعرفون كم هم، لا يعرفون عددهم، يُهيئون بيوتهم على أحسن ما يتمكنون وملؤهم الفرح والحماس ينتظرون هؤلاء الزوار ويتسابقون على إدخالهم إلى بيوتهم، يُعدون لهم أحسن ما يمكن أن يُعدوه، ومنهم من يهيئ ذلك قبل أشهر، يهيء المؤونة لهؤلاء الزوار قبل أشهر، ومنهم من يقترض المال وهو لا يملك المال لعياله، يخدمون هؤلاء الزوار وهم لا يعرفونهم، لا يعرفون أنسابهم، ولا أحسابهم، ولا مُدنهم، وما كانوا قد التقوا بهم في يوم من الأيام، ولا يعلمون هل أن الزائرين الذين سيدخلون إلى بيوتهم صغاراً، كباراً، يحملون شهادات معينة، لا يحملون أيَّ نوع من أنواع الشهادات، من أي الحرَفيين، من أي الموظفين، من أي الاختصاصات، لا يعلمون بذلك، رجالٌ لوحدهم، رجالٌ مع النساء، معهم أطفال، ليس معهم أطفال، هم لا يعرفون شيئاً، هم يعرفون شيئاً واحداً هناك جموعٌ حسينيةٌ قادمة يخدمونهم بأعينهم وبأموالهم وبكل ما يملكون وهم في حال فرح وسرور في ذلك، ولو سألت أحداً من هؤلاء الناس: لما تفعل ذلك؟!

سيتحدث ويقول: بأن كلَّ ما عندي هو للحسين، وبأننا لو أعطينا كُلَّ شيء للحسين في حياتنا فهو قليل، ومع ذلك هو عالمٌ بأن هذه العبارات لا تتحدث عن الحقيقة، وقد أكونُ أنا أو غيري أكثر قدرةً على التعبير ولربما أصوغ العبارات فأعبر عن هذه الحالة بعبارات وبأسلوب من الكلام يحملُ معان أكثر من المعاني التي قالها هؤلاء ومع ذلك فإننا لا نتحدث عن الحقيقة، وإنما نتحدث في جوانبها وعن جوانبها، القضية أعمق من أن يستطيع أولئك الذين فتحوا أبواب بيوتهم وأنفقوا أموالهم وسهروا على راحة هؤلاء الزائرين ولا أنا ولا غيري ولا أي شخص آخر يستطيع أن يُصيبَ كبد الحقيقة بألفاظه وكلماته، لماذا؟

لأن القضية أوسع مني ومنهم، لأن القضية أوسع من اللغة نفسها، القضية واسعةٌ فتقول: لماذا هي واسعة؟ لأن الحسين واسع، والقضية مرتبطةٌ بواسع محيط، القضيةُ واسعةٌ بسعة الحسين فهل يستطيعُ أحدٌ أن يُحيط بسعة الحسين؟!

لذلك تبقى القضية قضية يُدركها الوجدان، تُدركها البصائر، وهذه المعاني لا يتحسسها غيرُ الحسينيين، حتى أولئك الذينَ من الشيعة آبائهم شيعة، أمهاتهم شيعة، وعاشوا في مجتمع شيعي ما لم يتذوقوا الشراب الحسيني الطهور، ما لم تشتعل الجذوة الحسينية في قلوبهم، ما لم يَشمُوا العطر الحسيني فيدخلُ في خياشيمهم وينفذُ إلى رئاتهم وإلى كلّ خلية من خلايا أبدانهم، ما لَم يتطيّبوا بطيب الحسين، وما لم تتسجّرُ النارُ الحسينيةُ في قلوبهم تلك الحرارةُ واللوعةُ التي يقول عنها رسول الله بأنها لا تبردُ أبداً، نبينا الأعظم هو يخبرنا عن ذلك، بأن للحسين حرارة، هناك حرارة في قلوب المؤمنين، هذه الحرارة لا تبردُ أبداً، هذه المعاني لا يتحسسها إلا أولئك الذين توقدت الجذوة الحسينية في قلوبهم وفي أفئدتهم وفي أكبادهم وبين لهواتهم، وذلك هو السرُّ الذي يتكونُ منهُ النسيجُ الإيماني، الإيمان الحسيني المهدوي، حديثٌ هنا

عن إمام زماننا، وحديثٌ عن تمهيد مهدوي، وحديثٌ عن إحياء أمر مهدوي، في هذا الفناء الحسيني الأرحب الأطهر، حيثُ الشعائر الحسينية التي هي أقوى مصدر للشحن، للشحن العاطفي، وللشحن الوجداني لهذه القلوب الحسينية.

مجموعةٌ من الأطباء في وسط الصحراء ينصبون خيامهم ويحملون كلَّ ما يملكون، يُنفقون ذلك من جيوبهم لا دفعتهم حكومة ولا دفعهم أحد، ولا ينتمون إلى حزب سياسي أو مُنظمة سياسية دفعتهم لأجل شعارات سياسية ولأجل دعاية سياسية انتخابية، يتركون بيوتهم ومحال وظائفهم وينصبون الخيام لأجل الرعاية الطبية لزوار الحسين، يُعالجونَ هؤلاء الزوار ومن لم يكن مريضاً منهم فإنهم يسعونَ إلى أن يقوموا بأي جهد لخدمته ولراحته ودموعهم تجري على خدودهم، لأي شيء يفعلون ذلك؟ سلهم، هل يملكون جواباً؟! نعم يمكن أن يصوغوا عبارات، ولكن لو سألتهم هل أن هذه العبارات تكفي؟ لقالوا: لا، وامرأةٌ عجوزٌ مريضة تجمعُ ما عندها طيلة أيام السنة لتصنع الشاي لأولئك القادمين من جهة لا تعلم من أي جهة يأتون، تتحركُ برجل أصابها الورم تميلُ يمنةً ويسرةً وهي تفخرُ بذلك وتفرحُ بذلك وتقف على قارعة الطريق، ومجموعةٌ من الشباب، ونسوةٌ هناك، وموكبٌ هناك، وعلى طول الطريق.

سل الناس لماذا؟ الجواب هو الحسين، والألفاظ عاجزة وقاصرة، لماذا؟ لأن تعابيرنا ضيقة واللغةُ ضيقة والحسينُ واسعٌ وسيع، القضية أوسع من اللغة وأوسع من الألفاظ، هذا هو السر الوجداني الذي يتولد منه الإيمان، العقلُ، والفطرةُ، والإحساس، والخيال، ومادةٌ غريبةُ الأطوار هي الوجدان، منها يُصنع نسيج الإيمان، ومن هذا الإيمان يُصنعُ نسيج القلوب، ومن هذه القلوب يُصنعُ نسيج القاعدة الجماهيرية التي سيرفعُ إمام زماننا في أوساطها شعارهُ: **يالثارات الحسين**، ولذلك قضيةُ الشعائر الحسينية قضية واسعة وعميقة جداً، والتعامل مع هذه الشعائر هو بالوجدان وبالقلوب وبالإيمان، ولذلك الذين تذوقوا الطعم الحسيني في هذا الفناء الواسع في فناء الشعائر الحسينية لن يستطيعوا أن يتركوا هذه الشعائر، وحتى وإن صُبَّ عليهم البلاءُ صبّاً وتغيرت الأمور تبقى قلوبهم وأرواحهم وعقولهم مشدودة إلى شعائرهم الحسينية التي تذوقوا فيها الشراب الحسيني الطهور، الحسينيون شَربوا ذلك الشراب الطهور، سقاهم الحسينُ شراباً طهورا في ساحة وفناء الشعائر الحسينية.

لا أريدُ الإطالةَ والتفصيل أكثر في هذا المطلب حتى لا يتشتت الحديث وتبقى الصورة واضحة بسبب اختصار القول فيها، لكنني أشيرُ إلى عدة نقاط مهمة، هذه النقاط المهمة يمكننا أن نستعين بها للحفاظ على شعائرنا الحسينية وللسعي في تقوية هذه الشعائر الحسينية:

النقطة الأولى: هو التلاقي بين الهيئات الحسينية والتواصل بين المواكب الحسينية، في كل مدينة أو بين المُدن له تأثيرٌ كبير في الحفاظ على هذه الجذوة الحسينية، وهذه الشعائر الحسينية، وهذه المواكب الحسينية،

التلاقي بين الهيئات والحسينيات والمواكب، التواصل بين خَدَمَة الحسين له تأثيرٌ كبير في استمرار هذه المسيرة وفي استمرار هذه الشعائر.

النقطة الثانية: التي أشيرُ إليها أيضاً، وهو تبني هذه المواكب الحسينية وتبني هذه الهيئات الحسينية للأجيال الناشئة الجديدة من الشعراء، من الرواديد، والخُطباء، ومن غيرهم من الذين يسلكون مسلك الخدمة الحسينية، تبني الأجيال الناشئة الجديدة، ومساعدة هؤلاء، وتشجيع هؤلاء هو رفدٌ للشعائر الحسينية ولمسيرة الشعائر الحسينية.

النقطة الثالثة: وخصوصاً للمواكب الحسينية وللهيئات الحسينية في بلاد الرافدين، هناك حيثُ كربلاء حيثُ عاصمة المواكب الحسينية، هناك قضيةٌ مهمة جداً إن هذه الشعائر الحسينية صحيح تكون لها مناسبة معينة خصوصاً ما بين شهري محرم وصفر، أصحاب المواكب، أصحاب الهيئات، خُدام الحسين، عليهم أن يواصلوا نهجهم طيلة أيام السنة، أنا لا أريد هنا أن أقول أن يُقيموا الشعائر طيلة أيام السنة وإنما عليهم أن تكون لهم المشاركة الفاعلة في الوضع الاجتماعي، وفي الوضع السياسي للحفاظ على المكتسبات التي أكتسبها الحسينيون بعد هذا التغيير السياسي الهائل، الحفاظ على هذه العملية السياسية الجديدة في العراق والتي بسببها نالَ الشيعةُ الكثير من هذه المكتسبات، الحفاظ على هذه العملية السياسية، والحفاظ على المشاركة الفاعلة في الوضع السياسي والاجتماعي لأنه ليس غريباً أن يخرجَ من هذا الوسط من وسط العملية السياسية في يوم من الأيام من يكون موقفهُ سلبياً اتجاه الشعائر الحسينية، أما إذا كان الحسينيون وخَدَمَة الحسين هم في وسط الساحة لهم الفاعلية في الوسط الاجتماعي وفي الوسط السياسي ولهم المشاركة وبيدهم أوراقُ الضغط في العملية الانتخابية وفي العملية السياسية فإنهم يستطيعون أن يحافظوا على هذه الشعائر ويستطيعون أن يحافظوا على ما حصل عليه شيعةُ أهل البيت عموماً في العراق، وما حصل عليه الحسينيون وخُدام الحسين من مكتسبات بعد سقوط ذلك النظام البغيض.

وهذه قضية مهمة جداً، وهذه القضية إذا لم نلتفت إليها فإننا سنخسرُ الكثيرَ من المكتسبات التي وصلت أيدينا إليها، للحفاظ على الشعائر الحسينية، وللحفاظ على المسيرة الحسينية لابد أن تبقى أعيننا مفتوحة وأن تكون لنا الفاعلية في الوسط الاجتماعي وفي الوسط السياسي، وهذا الكلامُ أقولهُ لإخوتي خَدَمَة الحسين صلوات الله وسلامه عليه والقضية ليست قضية محصورة بأيام محرم، الخدمة الحسينية شعار، ويالَثارات الحسين هو شعار إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، والتمهيدُ واجبٌ عقائديٌ وشرعيٌ يُطلبُ منا في كل لحظة من لحظات حياتنا، إحياءُ أمر إمام زماننا واجبٌ يجب أن نحيا معه وأن نموت عليه، إنه التكليف الشرعي الأول، يجب أن يكون مع طعامنا ومع شرابنا ومع كل نفس من أنفاسنا، حينما يقول إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: **نَفَسُ المهموم لظُلمنا عبادة** – نَفَس المهموم، المهموم ليس هو

الذي أصابهُ الحزن، قد يكون الحزين من جملة مصاديق هذا الحديث، نَفسُ المهموم هذا الذي يحملُ الهمّ بين جوانبه، المهموم هو الذي يحملُ الهم، والهم هو الفكرةُ الضاغطة والمعنى الضاغط، وأهلُ البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يريدون منا حينما نحزن لحزنهم أن يكون هذا الحزن سلبياً بحيث يؤدي ذلك بنا إلى أن نجلس جانباً وأن تصيبنا الكآبة، الكآبةُ والحزنُ والألم لأهل البيت لابد أن يكون دافعاً وفاعلاً، حُزننا على أهل البيت وحزننا على الحسين صلوات الله وسلامه عليه إنما يتحققُ في السعي لإحياء أمر الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

زينبُ العقيلة التي نحنُ نعيشُ هذه الأيام، هذه الأيام أيامها، زينبُ العقيلة هي العنوان الأول لإحياء أمر الحسين، أنتم أيها الماشونَ إلى حُسين في كربلاء، زينب العقيلة وأنتم تريدون مواساتها وتريدون مشاركتها فإنها راجعة، راجعة من الشام تحمل الرؤوس الشريفة أنتم تريدون مشاركتها، المشاركة ليس بالبكاء وليس بالحزن، المشاركة بالعمل، البكاء والحزن من الأمور التي تدفعنا للعمل، من الأمور التي تُطهّرُ العمل، تُنقي العمل، العمل هو إحياء أمر إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، وكيف نستطيع أن نُحيي أمر إمام زماننا ما لم نحافظ على الساحة التي نستطيع أن نعمل فيها، ولذلك كما قلت قبل قليل الحفاظ على المكتسبات التي نلتموها أيُّها الحسينيون هذا واجبٌ شرعي وإلا فالإخلالُ بها إخلالٌ بالتكليف الشرعي، الحفاظ على هذه المكتسبات ولا يمكن أن نحافظ على هذه المكتسبات ما لم نحافظ على العملية السياسية التي حدثت في العراق، العملية السياسية التي حدثت في العراق هي التي أوصلتنا إلى هذه المكتسبات، الحفاظ على العملية السياسية، والحفاظ على العملية السياسية بالمشاركة الجماهيرية في الوضع الاجتماعي وفي الوضع السياسي وأن يكون بأيديكم أيها الحسينيون أوراق الضغط، أوراق الضغط في العملية الانتخابية، أوراق الضغط في المشاركة الفاعلة الحقيقية في بناء البلد الذي سيُشكّلُ ساحةً يتمهدُ فيها أمر إقامة هذه الشعائر الحسينية التي هي جزءٌ من تكليفنا الشرعي.

لا أطيلُ عليكم كثيراً، دعائي للماشين إلى كربلاء بسلامة الوصول وبالزيارة والقبول.

خُدام الحسين دعائي لكم بالتوفيق وأن تزدادوا توفيقاً في خدمة حُسينكم وفي خدمة إمام زمانكم.

أسألكم الدعاء جميعاً وهذا هو ختامُ ملفّ الشعائر الحسينية.

على المودّة الحسينية ألتقيكم في ملفّ آخر قريباً إن شاء الله تعالى في أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ